حُجَّةُ الإسلامِ
الإمامُ أَبُو حَامِدٍ الغَزَالِيُّ
ناقدُ الفَلسفةِ
(450 ـ 505هـ)

حُجَّةُ الإِسلامِ، الإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الغَزَالِيُّ، ناقدُ الفلسفةِ، وصاحبُ كتابِ «إِحياءِ علومِ الدِّينِ»، قاهرُ المُتَكَلِّمِينَ، وجامعةُ العلومِ والمَعارفِ. هوَ مِنَ الشَّخصيَّاتِ العلميَّةِ الَّتي يُفاخرُ بِها تاريخُنا الإِسلاميُّ، ويُباهي بِها الأُممَ والشُّعوبَ، وكيفَ لا؟! وهوَ الَّذي أَلجمَ الفَلسفَةَ، ودعا إِلى إِيمانٍ بسيطٍ خالٍ مِنَ التَّعقيدِ، وبعيدٍ عَنِ النَّظرِ الفَلسفيِّ الَّذي يَستندُ إِلى التَّخميناتِ والافتراضاتِ، وفي كثيرٍ مِنَ الأَحيانِ يُوصلُ إِلى الشَّكِّ وعدمِ اليَقينِ، فَهوَ الَّذي وَجَّهَ إِلى الفَلسفَةِ طعنةً قَاتلةً لَمْ تَقُمْ لَها قائِمةٌ مِنْ بَعدِها، وأَقصاها عَنْ مسرحِ الحياةِ الفكريةِ والعقليَّةِ عِندَ العربِ والمُسلمينَ، بَعدَ أَنْ هَيمَنَتْ عَلى عقولِ بَعضِ العُلماءِ والمُفَكِّرِينَ زهاءَ ثلاثمئةِ عامٍ.

قَضَى الإِمَامُ الغزاليُّ عَلى مَضجعِ الفلاسفَةِ، وأَبطلَ آراءَ المُتَكَلِّمِينَ، وفَنَّدَ هَرطقاتِ الباطنيَّةِ، ونَقضَ شَطحاتِ الصُّوفيَّةِ، وخاضَ غمارَ علمِ الجدلِ والمَنطقِ مُتَسلِّحاً بِالعقيدةِ

الإسلاميَّةِ الصَّافيَةِ، مُستَعيناً بِسُنَّةِ النَّبيِّ الأَعظمِ ﷺ. ودحضَ آراءَ المُتنَطِّعينَ والمُتَفَلْسِفِينَ الَّذينَ حاولوا إخضاعَ أُصولِ الدِّين، وحَقائِقِ الشَّرْعِ لأَهوائِهِمْ وأمانيهِمْ وظنونِهِم الشَّاردةِ عَنْ حقيقَةِ العقلِ والتَّنزيلِ، وهُمْ كانوا قبلَ ذَلكَ يَحسبونَ أَنَّهُمْ يُحسنونَ صُنعاً، وفي الحقيقَةِ كانوا في غفلةٍ يَعمهونَ.

لَقَدْ كانَ الفلاسفَةُ والمُتَكَلِّمُونَ قبلَهُ ـ وهُمْ يُحاولونَ التَّوفيقَ بينَ الدِّين والفَلسفَةِ ـ يَتخبطونَ في الظَّلامِ فَيُغلِّبونَ النَّظرَ عَلى الإيمانِ، ويُقَدِّمُونَ الفَلسفَةَ عَلى الدِّين، ويُساوونَ بينَ الثَّرَى والثُّريَّا، أَمَّا هوَ فَقَدْ تَعمَّقَ في العُلومِ، وعاشَ تجربَةَ الشَّكِّ مِنْ أَجلِ الوصولِ إلى العلمِ اليَقيني الَّذي يُحقِّقُ سَعادَةَ الدَّارينِ (الدُّنيا والآخرةِ). وخَرجَ مِنْ هذِهِ التَّجْرِبَةِ ظافراً مُنتَصراً بِنورٍ قَذفَهُ اللهُ في قَلبِهِ فَأضاءَ لَهُ آفاقَ العقلِ والنَّفسِ، فَنهجَ في حياتِهِ نَهجَ السَّالكينَ إلى اللهِ بِصدقٍ وإخلاصٍ، وأَكرمَهُ اللهُ بِحكمَةِ الحُكماءِ، وفطنةِ الرَّاسخينَ في العلمِ، والعلمِ بِأسرارِ الأَحكامِ الشَّرعيَّةِ، وإدراكِ رِسالَتِهِ الإصلاحيَّةِ، فَأفاضَ مِنْ ثمارِ فكرِهِ ما يُمثِّلُ مَنظومةً مِنَ العُلومِ والمَعارفِ بِمُؤَلَّفَاتهِ ومُصنَّفاتِهِ الغَنيَّةِ والهامَّةِ عَلى صَعيدِ العلمِ والدِّينِ، وها هوَ يُفصِحُ لَنا عَنْ هذِهِ التَّجْرِبَةِ الغَنيَّةِ الَّتي عاشَها في رِحلةِ العقلِ والفكرِ بينَ الشَّكِّ واليَقينِ، فَيقولُ في كتابِهِ «المُنقذِ مِنَ الضَّلالِ» بَعدَ أنْ شفاهُ اللهُ مِنْ مرضِ الفكرِ العقيمِ وهوَ عَلى مذهبِ الفلاسفَةِ:

«حَتَّى شَفَى اللهُ تَعالَى مِنْ ذَلِكَ المرضِ، وعادَت النَّفسُ إلى الصِّحةِ والاعتدالِ، ورَجعت الضَّروريَّاتُ العَقليَّةُ مَقبولَةً موثوقاً بِها عليَّ مِنْ أَمنٍ ويقينٍ، ولَمْ يَكُنْ ذَلكَ بِنظمِ دليلٍ أَو ترتيبِ كلامٍ، بَلْ بِنورٍ قَذفَهُ اللهُ تَعالَى في الصُّدورِ».

فَمَنْ هوَ الإِمَامُ حجَّةُ الإِسلامِ أَبُو حَامِدٍ الغَزَالِيُّ، وأَينَ عاشَ وتَعلَّمَ، وما هيَ أَهمُّ معالمِ حياتِهِ؟

هذا ما سَنعرفُهُ في الصَّفَحاتِ التَّالِيةِ.

❁ ❁ ❁

كانَتْ مَدينةُ «طَوس» إِحدَى كُبرياتِ مُدنِ خُراسانَ (إِيرانَ) حاليّاً، تَعجُّ بِالعُلماءِ والفُقهاءِ، ويَرتادُها طُلَّابُ العلمِ مِنَ المَناطقِ المُجاورةِ الَّذينَ يَفدونَ إِلى مَجالسِ العُلماءِ والفُقهاءِ، كما كانَ لَها تأثيرُها العلميُّ والسِّياسيُّ في بلادِ خراسانَ حينَها.

وكانَ مِنْ أَهالي «طَوس» رَجلٌ فقيرٌ يَعيشُ كفافاً يَطغَى على خُلُقِهِ الوَرَعُ والخَوفُ وتَقْوَى اللهِ، يُدعَى «مُحمَّدُ بنُ مُحمَّدٍ بنِ أَحمدَ الطَوسيُّ» يَعملُ في غزلِ الصُّوفِ (وهيَ المهنَةُ الَّتي يُنسبُ إِليها الإِمَامُ الغزاليُّ) ويَحرصُ كُلَّ الحرصِ عَلى الأَكلِ مِنْ كسبِ يَدهِ عملاً بِقولِ النَّبيِّ الأَعظمِ ﷺ: «**ما أَكلَ امرؤٌ طعاماً خيراً مِنْ كَسبِ يَدهِ**».

وكانَ «مُحمَّدٌ» هذا، إِذا فرغَ مِنْ عملِهِ، طافَ عَلى مجالسِ العُلماءِ والفُقهاءِ يَتزوَّدُ مِنَ العلمِ ما يُفَقِّهُهُ بِالدِّينِ، ولولا كبرُ سنِّهِ ومَسؤولياتُهُ في تَحصيلِ لُقمةِ العيشِ لأَهلِ بيتِهِ، لانْقطعَ إِلى مجالسِ العلمِ، ولانْشغلَ بِالسَّماعِ لِلعلماءِ والفُقهاءِ، وبِما أَنَّ ذَلكَ كانَ صَعبَ المنالِ بِالنِّسبَةِ لَهُ، كانَ يَدعو ويرجو اللهَ أَنْ يَرزقَهُ ابناً ويَجعلَهُ فَقيهاً، وما كادَ الفَلكُ يَدورُ دورتَهُ حَتَّى رَزقَهُ اللهُ ولَدينِ كانَ أَكبرُهُما «مُحمداً» حُجَّةَ الإِسلامِ.

ولِدَ حُجَّةُ الإِسلامِ «مُحمَّدُ بنُ مُحمَّدِ بنِ مُحمَّدِ بنِ أَحمدَ الطَوسيُّ» في طَوس سنةَ

(450) هجريَّةً، ونَشأَ وترعرَعَ في بيتِ أَبيهِ عَلى التَّقوَى وحُبِّ العلم، ولَمْ يَكَدْ يَفتحُ عينيهِ ويَعي عَلى الدُّنيا حَتَّى ماتَ أَبوهُ الَّذي كانَ يَأملُ أَنْ يُصبحَ ابنهُ عالماً وفَقيهاً، فاتَّجهَ حُجَّةُ الإِسلامِ إِلى التَّعلُّمِ والتَّفقُّهِ في الدِّين تَحقيقاً لرغبَةِ أَبيهِ، فقرأَ في بِدايَةِ تَحصيلِهِ العلميِّ عَلى فَقيهِ طَوس العلَّامةِ «أَحمدَ بنِ مُحمَّدِ الرَّاذكاني»، ثُمَّ سافرَ إِلى «جرجانَ» وقَرأَ عَلى الإِمامِ «أَبي نَصرٍ الإِسماعيلي»، ثُمَّ غادرَ جرجانَ إِلى مدينةِ نيسابورَ عاصمةِ الدَّولةِ السّلجوقيَّةِ ومدينةِ العلمِ بَعدَ بَغدادَ، ولازمَ فيها الإِمامَ «الجوينيَّ» إِمامَ الحرمينِ، وجَدَّ واجتهدَ حتَّى برعَ على يَديهِ في علمِ الفقهِ وأُصولِهِ، وأُعجبَ إِمامُ الحرمينِ بِعلمِ وذَكاءِ حجَّةِ الإِسلامِ، حيثُ فاقَ الغَزَالِيُّ أَقرانَهُ في مجلسِ أُستاذِهِ، وصار مُعيداً لَهُ ونائِباً عَنهُ، وكانَ إِمامُ الحرمينِ يَقولُ مادحاً علمَ تلميذِهِ وذَكاءَهُ: «الغزاليُّ بَحرٌ مُغدِقٌ».

وبَعدَ وفاةِ إِمامِ الحرمينِ سنةَ (478) هجريَّةً، غادرَ الغزاليُّ مدينةَ «نيسابورَ»، ولازمَ الوزيرَ «نظامَ المُلكِ» المُحبَّ لِلعلمِ والعُلماءِ، والَّذي كانَ مَجلسُهُ دائِمَ الاكتظاظِ بِالعُلماءِ والفُقهاءِ في اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَناظرَ الغزاليُّ كبارَ العُلماءِ في مَجلسِهِ، فَغلبَهُمْ كُلَّهُم وظَهرَ علمُهُ عَلى علمِهِمْ جَميعاً، فاعترفوا بِفضلِهِ وتَفوُّقِهِ عليهِمْ، وأَلقَوا إِليهِ بِمقاليدِ العلمِ، وأَثبتوا إِمامَتَهُ فيهِ، فَدعاهُ الوزيرُ الصَّاحبُ إِلى بَغدادَ، وولَّاهُ التَّدريسَ في مَدرسَتِهِ «النِّظاميَّةِ»، وكانَ ذَلكَ غايَةَ ما يَطمحُ إِليهِ العُلماءُ في ذَلكَ الوَقتِ، فَتولَّى الإِمَامُ الغَزاليُّ وَظيفةَ التَّدريسِ في المدرسةِ «النِّظاميَّةِ» وهوَ لَمْ يَتجاوز السَّابعةَ والثَّلاثينَ مِنْ عمرِهِ بَعدُ، وكانَ ذَلكَ بِدايَةُ شُهرتِهِ، وتَداولِ أَخبارِ علمِهِ ومعارِفِهِ بينَ النَّاسِ في ذَلكَ الحينِ.

❁ ❁ ❁

في بَغدادَ، علا صيتُ الغَزاليِّ، وانتشَرتْ علومُهُ ومعارفُهُ في شَتَّى أَصقاعِ العالمِ الإِسلاميِّ عَنْ طريقِ تلامذَتِهِ الَّذينَ تَخرَّجوا على يَديهِ في المدرسَةِ «النِّظاميَّةِ»، وانتَهَتْ إِليهِ رِئاسَةُ العلمِ في العالمِ الإِسلاميِّ، وحظيَ مِنَ الخليفَةِ العبَّاسيِّ «المُقتدرِ بِاللهِ» والخليفةِ «المُستظهرِ» مِنْ بَعدهِ مكانةً ساميةً وعاليَةً، لا يُدانيهِ فيها رئيسٌ ولا وزيرٌ ولا أَميرٌ. ووَصلَ إِلى أَعلى ما يَصلُ إِليهِ عالمٌ مِنَ المجدِ والسُّؤدُدِ، وحقَّقَ في العلمِ أَعلى درجاتِهِ ومراتبِهِ، حَتَّى لُقِّبَ بِـ «حجَّةِ الإِسلامِ».

لَكنَّهُ لَمْ يَستَطِع البَقاءَ في عاصمةِ الخلافَةِ والعلمِ، على الرَّغمِ ممَّا كانَ يَنالُهُ مِنْ توقيرٍ وتَبجيلٍ واحترامٍ مِنْ ولاةِ الأَمرِ، ومِنْ عامَّةِ النَّاسِ فيها، إِذْ سُرعانَ ما راودَ الشَّكُ عقلَهُ، وغَزَت الحيرةُ نَفسَهُ، وتَضارَبَتْ في نَفسِهِ الآراءُ، ونزعَتْ بِهِ ثَقافَتُهُ الفَلسفيَّةُ الواسعةُ إِلى سبيلِ الارتيابِ، فَبدأَ يَبحثُ عن العلمِ اليَقيني الموصلِ إِلى الحقيقةِ والسَّعادةِ.

خرجَ الغزاليُّ مِنْ بَغدادَ يَطلبُ السَّعادةَ الرُّوحيَّةَ، والمعرفَةَ الحقيقيَّةِ، وقصدَ مدينةَ «دمشقَ»، وأَقامَ فيها ما يُقاربُ السَّنتينِ في عزلةٍ وخلوةٍ وانشغالٍ في رياضَةِ الرُّوحِ، وتزكيَةِ النَّفسِ على طريقَةِ الصُّوفيَّةِ، وكانَتْ إِقامتُهُ في مسجدِ دمشقَ (الجامعِ الأمويِّ)، فكانَ يَدخلُ منارةَ الجامعِ ويُغلقُ بابَها عليهِ دونَ أَنْ يَرَى أَو يراهُ أَحد.

ثُمَّ رحلَ عَنْ دمشقَ إِلى القُدسِ، فَأَقامَ في مسجدِ الصَّخرةِ في خلوةٍ وعزلةٍ وتَفكُّرٍ وبَحثٍ عَنِ السَّعادةِ الرُّوحيَّةِ، واليَقينِ العقليِّ الَّذي يَزولُ مَعهُ كُلُّ شَكٍّ أَو ارتيابٍ بِالحقائِقِ الدِّينيَّةِ الغَيبيَّةِ، ومِنَ القُدسِ رحلَ إِلى مكَّةَ لأَداءِ مناسكِ الحجِّ، ثُمَّ عاودَهُ بعدَ هذِهِ الرِّحلةِ

الَّتي دامَتْ عَشر سنواتٍ الحنينُ إِلى الأَهلِ والوطنِ، فعادَ إِلى مَدينةِ «طَوس» وفيها خرجَ مِنْ عزلتِهِ وخلوتِهِ بعدَ أنْ رزقَهُ اللهُ السَّعادةَ الرُّوحيَّةَ والعلمَ اليَقيني بِتزكيَةِ النَّفسِ ورياضَةِ الرُّوحِ عَلى طريقِ السَّالكينَ إِلى اللهِ، وعادَ إِلى سابقِ عهدِهِ في التَّعليمِ والتَّدريسِ، ثُمَّ تَولَّى رِئاسةَ المدرسةِ النِّظاميَّةِ بِنَيسابورَ، ثَمَّ اعتذرَ عنها بسبَبِ الحوادثِ السِّياسيَّةِ غيرِ المُستَقرَّةِ، وأَقامَ في طَوس، وبَنَى إِلى جانبِ دارِهِ فيها مدرسَةً لِلتَّعليمِ، وزاويَةً لِلصوفيَّةِ يزكونَ فيها أنفسَهُمْ بِالذِّكرِ والعبادةِ، وما زالَ هذا دأبَهُ حَتَّى أَدركَتْهُ الوفاةُ سنةَ (505) هجريَّةً.

❁ ❁ ❁

وهوَ يُنشدُ السَّعادةَ الحقيقيَّةَ، والعلمَ اليَقينيَّ الَّذي يزولُ معهُ كُلُّ شَكٍّ أَو ارتيابٍ، نظرَ الإِمَامُ الغَزاليُّ في أَصنافِ الطَّالبينَ (طلَّابِ المعرفةِ) حولَهُ فَوجدَهُمْ يَنحصرونَ في أَربعِ فرقٍ واتِّجاهاتٍ فكريَّةٍ وعَقائديَّةٍ: فرقَةِ المُتَكَلِّمِينَ، وفرقةِ الباطنيَّةِ، وفرقةِ الصوفيَّةِ، وطائفةِ الفلاسفةِ. وشعوراً مِنهُ بِأداءِ رسالتِهِ الإِصلاحيَّةِ، طفقَ يدرسُ كُلَّ فرقةٍ مِنهُمْ عَلى حِدة، وشرعَ في سبرِ أَغوارِها عَلَّهُ يَجدُ في إِحداها ما يَشفي غليلَهُ، ويُرضي تَطلُّعَهُ نَحوَ العلمِ اليَقيني، ولَكنَّهُ وجدَ نفسَهُ فيها جميعاً عاطلةً عَنْ بلوغِ العلمِ اليَقيني، فَصادفَ علمَ الكلامِ غيرَ وافٍ بِمقصودِهِ، وإِنَّما مقصودُهُ تَأييدُ آراءِ المُتَكَلِّمِينَ، واستخراجُ مُناقضاتِ خُصومِهِمْ، وهوَ قليلُ النَّفعِ بِجانبِ العلمِ اليَقيني.

وبَعدَ أَنْ أَحاطَ بِمقاصدِ الفلسفَةِ وكُلِيَّاتِها، وتَعمَّقَ في دراسَتِها معرفَةً واختباراً، يئسَ مِنْ أَنْ يَنالَ مِنها بُغيَتَهُ، أَو يَجدَ فيها ضالَّتَهُ، فعكفَ على نَقضِ نَظرياتِها ودحضِ آرائِها،

مُبيِّناً زَيفَها وبُطلانَها، وخاصَّةً فيما يَتعلَّقُ بِالإلهياتِ مِنها، فَوجدَ فيها نوعاً مِنَ الجدلِ العقيمِ الَّذي لا فائدةَ منهُ.

وخاضَ في غمارِ المذاهبِ الباطنيَّةِ الَّتي عظُمَ شَأنُها في عَصرِهِ، ودرسَ عقائدَها، وحلَّلَ آراءَها، ووَجدَ جُلَّ آرائِها مُستوحاةً مِنَ الفلسفاتِ اليونانيَّةِ، وكانَ فَحوَى المذهبِ الباطنيِّ: أَنَّ الإمامَ المَعصومَ القائِمَ بِالحقِّ هوَ مصدرُ العلمِ اليَقينيِّ، وإذا كانَ أَصحابُ المذاهبِ الباطنيَّةِ يَختلفونَ في تَعيينِ الإمامِ المَعصوم القائمِ بِالحقِّ، فَكيفَ يوثَقُ بِأفكارِهِمْ وآرائِهِمْ؟ يقولُ حُجَّةُ الإسلامِ: «هذِهِ حقيقَةُ حالِهِمْ، فَلمَّا خَبرناهُمْ نَفَضنا اليَدَ مِنهُمْ أَيضاً».

ثُمَّ اقتحمَ لُجَجَ مذهبِ أَهلِ التَّصوُّفِ، وعملَ عَلى تَحصيلِ علمِهِمْ، فوجدَ أَنَّهُمْ يَعتمدونَ عَلى الأَحوالِ أكثرَ مِنِ اعتمادِهِمْ عَلى العلمِ، وظهرَ لَهُ أَنَّ أَخصَّ خَواصِّهِمْ لا يُمكنُ الوصولُ إِليهِ بِالتَّعلُّمِ، بَلْ بِالذَّوقِ والحالِ وتَبدُّلِ الصِّفاتِ، يَقولُ عَنهُمْ: «فعلمتُ يَقيناً أَنَّهُمْ أَربابُ الأَحوالِ لا أَصحابَ الصِّفاتِ»، وراقت لَهُ مِنْ مذهبِهِمْ طريقَتُهُمْ في تزكيَةِ النَّفسِ، ورياضَةِ الرُّوحِ، والزُّهدِ بِالدُّنيا، ولِهذا مالَ إِلى مذهبِهِمْ في هذا الاتِّجاهِ، وظهرَتْ فيهِ نزعاتُ التَّصوفِ الأَخلاقيَّةِ والنَّفسيَّةِ، لا التَّصوُّفَ العقائديَّ الَّذي يقومُ عَلى الأَحوالِ وتَبدُّلِ الصِّفاتِ، وكانَ مِنْ أَثرِ هذِهِ النَّزعةِ تأليفُهُ لِكتابِ «إِحياءِ علومِ الدِّين» وكتابِ «المُنقذِ مِنَ الضَّلالِ» وغيرِهِما.

❋ ❋ ❋

لَمْ يَكُنْ حُجَّةُ الإسلامِ داعيَةً ومُصلِحاً في عَصرِهِ فَقَطْ، وإِنَّما تَجاوزَ عَصرَهُ لِيُصبِحَ

بِفضلِ مُؤَلَّفَاتهِ داعيَةَ الإِسلامِ، ومُصلحَ المُجتمعاتِ في كُلِّ عَصرٍ وآنٍ، ولِيكونَ مُربياً لِلأَجيالِ في كُلِّ زمانٍ ومَكانٍ.

ويَرَى بَعضُ الباحثينَ المُعاصرينَ أَنَّ لأَهميَّةِ مُؤَلَّفَاتهِ، وفَضلِها في تَهذيبِ وتَربيَةِ النَّشءِ، وتَقويمِ اعوجاجِ المُجتمعِ، وإِصلاحِ ما قَدْ يَفسدُ مِنَ الأَخلاقِ في كُلِّ عَصرٍ وجيلٍ، عَمدَ بَعضُ المُستشرقينَ إِلى إِثارةِ الشُّكوكِ حولَ صِحَّةِ نسبَةِ بَعضِ تلكَ المُؤَلَّفَاتِ الهامَّةِ إِليهِ، وأَنَّهُ يَخلطُ بينَ عُلومِ الدِّين والفَلسفَةِ فيها، وأَنَّها لا تُصلحُ أَنْ تكونَ مصدراً لِلأَخلاقِ والتَّربيَةِ، وذَلكَ مِنْ أجلِ فَصلِ الجيلِ المُؤمنِ عَنْ منابعِ تُراثِهِ العلميِّ والثَّقافيِّ والتَّربويِّ.

ومعَ ذَلكَ بَقيَ أَبناءُ الأُمَّةِ يَعتبرونَ مُؤَلَّفَات الغَزاليِّ مِنْ أهمِّ المَصادرِ الَّتي يَنبغي الرُّجوعُ إِليها في أُمورِ الأَخلاقِ والتَّربيَةِ والتَّعليمِ والتَّهذيبِ.

يَقولُ أَحدُهُمْ: «إِنَّ مُؤَلَّفَات الإِمامِ الغزاليِّ تَكشفُ عَنْ عَبقريَّتِهِ وموسوعيَّتِهِ ومُعالَجتِهِ الشُّموليَّةِ لِحاجاتِ المُسلمينَ، والحضارةِ الإِسلاميَّةِ، فَقَدْ نَذرَ الرَّجلُ نَفسَهُ لِلمُسلمينَ وأَدركَ أَنَّهُ عَلى رأسِ المئة الخامسَةِ مُجدِّدٌ لِهذا الدِّين ـ كما قالَ الإِمامُ الذَّهبيُّ ـ فَكتبَ في مُختلفِ أَبوابِ المعرفَةِ الإِنسانيَّةِ، وصَنَّفَ أُمهاتِ الكُتبِ في مُختلفِ المَواضيعِ، وأجادَ في الفقهِ الاجتماعيِّ والحضاريِّ».

ويُمكنُنا إِجمال أهمِّ مُؤَلَّفَاتهِ عَلى النَّحوِ التَّالِي:

أولاً: في الفلسفةِ: «كتابُ تَهافُتِ الفلاسفةِ»: وهوَ الكتابُ الَّذي نَقدَ فيهِ الفَلسفَةَ، وكفَّرَ فيهِ الفَلاسفَةَ، وأَبدعَ فيهِ أَيَّما إِبداعٍ.

و«كتابُ مَقاصدِ الفلاسفَةِ»: وهوَ كتابٌ في علمِ الفلسفةِ ومقاصدِها، وكانَ مرجعاً للغربيينَ في دراسَةِ الفَلسفَةِ.

و«كتابُ المُنقذِ مِنَ الضَّلالِ»: وهوَ كتابٌ هامٌّ في الفلسفَةِ اللاهوتيَّةِ، منهُ نَهلَ كبارُ الفلاسفَةِ الغربيينَ كتوما الأكويني وغيرِهِ.

ثانياً: في الفقهِ وأُصولِهِ: «كتابُ البَسيطِ» و«كتابُ الوَسيطِ» وهُما في الفقهِ الشَّافعيِّ، ذَكرَهُما الإمامُ السُّبكيُّ في كتابِهِ طبقاتِ الشَّافعيَّةِ.

و«كتابُ المُستَصفَى» في أُصولِ الفقهِ، وهوَ أحدُ منابعِ ودعائِمِ علمِ أُصولِ الفقهِ إِلى يَومِنا هذا.

ثالثاً: في الأخلاقِ وعلمِ النَّفسِ والاجتماعِ: «كتابُ إِحياءِ علومِ الدِّين» في أَربعةِ أجزاء كبيرةٍ، وهوَ الموسوعةُ العلميَّةُ المَشهورةُ، أَشهرُ مِنْ أنْ يُعرَّفَ بِهِ، كَتبَهُ لِيُجدِّدَ لِهذِهِ الأُمَّةِ دينَها ويُعيدَها إِلى سيرةِ السَّلفِ الصَّالحِ، وبِهِ استَّحقَّ أنْ يَكونَ مُجدِّدَ القرنِ الخامسِ الهجريِّ كما قالَ الإِمَامُ الذَّهبيُّ، وقَدْ اختصرَهُ عَددٌ كبيرٌ مِنَ العُلماءِ مِنهُمُ ابن الجوزيِّ، وشرحَهُ العلَّامةُ مُرتَضَى الزَّبيديُّ وأَسماهُ «إِتحافَ السَّادةِ المُتَّقينَ بِشرحِ علومِ الدِّين».

و«كتابُ كيمياءِ السَّعادةِ» وهوَ في علمِ النَّفسِ والأَخلاقِ والسُّلوكِ، يُقابلُ كتابَ إِحياءِ علومِ الدِّين.

وكتابُ «ميزانِ العملِ» وهوَ في الأخلاقِ العمليَّةِ.

و«كتابُ أَيُّها الولدُ» وهوَ في الأَخلاقِ وآدابِ السُّلوكِ وعلمِ النَّفسِ والتَّربيَةِ. وقَدْ شَرحَهُ العُلماءُ عدَّةَ شُروحٍ واختصرَهُ بَعضُهُمْ.

هذا إلى جانبِ مُؤَلَّفَات أُخرَى في مُختلفِ المواضيعِ يَضيقُ المقامُ عَنْ ذكرِها هُنا، ولَكنْ تجدرُ الإِشارةُ إِلى أَنَّ مُؤَلَّفَات الغزاليِّ أَغلبُها تُرجمَ إِلى عدَّةِ لُغاتٍ، وتُدرَّسُ في أَعرقِ جامعاتِ الشَّرقِ والغربِ.

الأَسئلة والمناقشة

1 ـ ماذا وجَّهَ الإِمَامُ الغزالي إِلى علمِ الفلسفَةِ؟

2 ـ بِماذا تَميَّزَ الإِمَامُ الغزالي عَنِ الفلاسفةِ والمُتَكَلِّمِينَ قَبلَهُ؟

3 ـ كيفَ كانَتْ مدينةُ طوس الَّتي ولدَ فيها الإِمَامُ الغزالي؟

4 ـ ماذا كانَ يعملُ والدُ الإِمامِ الغزالي، وعلى ماذا كانَ يحرصُ؟

5 ـ ماذا قالَ إِمامُ الحرمينِ في حَقِّ الإِمامِ الغزاليِّ؟

6 ـ لِماذا لَمْ يَستَطِع الإِمامُ الغزالي البَقاءَ في بَغدادَ؟

7 ـ كيفَ وجدَ الإِمامُ الغزاليُّ الفلاسفةَ وأَهلَ الباطنِ؟

8 ـ لِماذا يُحاولُ المُستشرقونَ التَّشكيكَ بِمُؤَلَّفَات الغزالي؟